الأفكار في رواية (ريام وكفى)

د. ميس هيب حميد

جامعة كربلاء كلية التربية/ قسم اللغة العربية

الخلاصة:

تنبع أهمية هذا الموضوع في أنه يتناول رواية رشحت لجائزة البوكر إذ حاول البحث الوقوف على الجوانب الفكرية التي تطرقت لها الرواية ، و بيان كيفية عرضها في الإطار القصصي وكيف استطاعت الكاتبة توظيف عناصر العتبات النصية والأحداث والشخصيات في بث الأفكار، وأخيرا حاول البحث نقد الأفكار ومدى توفيق الكاتبة في طرحها.

الكلمات المفتاحية : هدية حسين،الأفكار ، ريام وكفى

Abstract

The importance of this topic stems from the fact that it deals with a novel that was nominated for the poker prize. The research sought to identify the intellectual aspects that the novel dealt with, how it was presented in its narrative context and how the writer employed the element of textual thresholds, events and personalities in the broadcast of ideas . .

مقدمة:

جاء البحث لدراسة الأفكار في رواية (ريام وكفي) للكاتبة هدية حسين ، وحاول تلمس الأفكار في هذه الرواية عن طريق أربعة محاور،فاستخلصتُ الأفكار عن طريق تلمسها في عتبات النص ،وكذلك استخلاصها من الأحداث ،والشخصيات ،ثم حاولت نقد الأفكار في المحور الرابع .

وقد اعتمدت على عدد من المصادر وفي مقدمتها رواية ريام وكفى لهدية حسين ، وموسوعة السرد العربي لعبد الله إبراهيم ، ونقد الخطاب المفارق لهويدا صالح

تمهيد (الأدب والفكر)

هناك اتجاهان في علاقة الأدب بالفكر الأول عد الأدب شكل من الفلسفة ،أو أفكار ملتفة في صورة يحلل لاستيضاح أفكار رئيسية ،وقد تطلع كثير من الدارسون إلى تلخيص الأعمال الأدبية والاستخلاص منها في ضوء هذه التعميمات مثل أولرتش الذي صاغ الفكرة الرئيسية لمسرحية تاجر البندقية (على أن غاية العدل هي غاية الظلم) أصحاب هذا الاتجاه يأخذون الأدب على انه مبحث فلسفي ،أما الاتجاه الآخر فينفي أن يكون للأدب مغزى فلسفي فيقول جورج بواس أن (الأفكار في الشعر عادة ما تكون بائخة وخاطئة ...)ويرى اليوت انه (لم يقدم دانتي او شكسبير فكرا حقيقيا ..) "[1]

تتجلى من خلال رواية (ريام وكفى) الرؤية الأنثوية للعالم، ففضلا عن أن المؤلفة أنثى فأنها اختارت شخصيات الرئيسية في الرواية إناث، وتدور أحداث هذه الرواية حول هذه الشخصيات، وبذلك يمكن تصنيفها ضمن ما اصطلح عليه في الأدب الجنوسي[2] بـ (كتابة النساء)[3]،وسيحاول البحث تلمس الأفكار في الروية بعدة محاور :

أولا :الأفكار من خلال العتبات :

مصطلح عتبات النص (paratexte) هو مصطلح ظهر على ساحة النقد الأدبي عام 1983 في كتابات جرار جنيت وعرفه بأنه "نمط ثان من التعالي النصي. ويتكون من علاقة هي عموما أقل وضوحا وأكثر اتساعا. ويقيمها النص في الكل الذي يشكله العمل الأدبي، مع ما يمكن أن نسميه بالنص الموازي، أو الملحقات النصية Les Paratextes، كالعنوان، والعنوان الفردي، والعناوين الداخلية"[4].

العتبة الأولى في الرواية هي عتبة العنوان اختارت المؤلفة عنوان (ريام وكفى) الذي يوحي بان الرواية تتحدث عن امرأة اسمها ريام هي كافية ومُغنية عمن سواها ...

ثم تقابلنا على الغلاف الخارجي للرواية لوحة للفنانة وسماء الآغا ، واللوحة صورة لشابة جميلة تعمل بمهنة الخياطة ، وهذه اللوحة دلالة على الاعتماد على النفس في كسب الرزق ، كما أن هذه الفتاة تنظر إلى عالم خاص بها وهو لا يبدو لنا في اللوحة لإضفاء عنصر غموض، فيما يحيط بالمرأة داخل الصورة جو جميل فيبدوا إن هناك نسيم هواء يحرك ستائر الغرفة ،و يداعب شعر الفتاة الجميلة، فيما تكون الخلفية العامة التي تحيط بالفتاة باللون الأخضر وهو لون الأمل وجمال الطبيعة ...

وعند التأمل في التصدير الذي افتتحت به الكاتبة روايتها باعتباره عتبتها الثانية نقرأ " يحتاج الحجر لكي يصبح منحوته إلى ضربات كثيرة " وهو مثل هندي .... هذا المثل يعطي إيحاء بضرورة الصبر على الأشياء ولعل هذا يتناغم مع الفتاة التي تخيط في واجهة غلاف الرواية ففعل الخياطة يحتاج كثيرا من التأني والصبر ولا يجيد هذه المهارة إلا من تحلى بهما،عند ذلك ندرك أن الرواية بها إشارة إلى قوة المرأة واعتمادها على نفسها ،ثم هذا لا يتعارض مع عتبة العنوان ،فالمرأة الصابرة المعتمدة على نفسها الجميلة مثلما نراها في لوحة (وسماء الآغا) ،امرأة تمتلك كثيرا من الصفات التي تجعلها كافية عن غيرها.

ثانيا : الأفكار من خلال الأحداث :

ويمكن استنتاجها مع عرض مختصر لأحداث الرواية والتي تدور حول(ريام)التي تمثل الذات الساردة التي تقرر أن تكتب قصة حياتها تقول ريام " أنا كفى ياسين الفضلي كما قرر أبي أن يسميني"[5] ،فبعد أن أنجبت له زوجته بنتين هما هند وصابرين قال بوجه ريام كفى .... كفى لإنجاب الإناث ، ثم تظهر في الرواية شخصية نسائية مؤيدة مشجعة لهذا الموقف الذكوري وهي الجدة(مسعودة) ، والتي تمثل حارسة هيكل الذكورة ،تتابع أحداث الرواية إلى أن يتزوج والد ريام زوجة أخرى بعد سنتين من ولادة ريام طمعا بالصبي ،لتنجب له زوجته الجديدة صبيا يدعى محمودا ، فاستقبله الجدة (مسعودة) بالأغاني الشعبية التي تكرس الوعي الذكوري تقول وهي تراقصه :[6]

يمة الولد

فدوة الولد

يسوة البنات بلا عدد

يسوة البنات وأمهن

وأخوالهن وأهلهن

هذه الفكرة مستوحاة من المجتمع العراقي ففي البيت العراقي لا تزال كثير من العوائل تفرح لولادة الذكر،وتقيم ما يشبه الاحتفال في حين تقابل الأنثى في كثير من الأحيان بمشاعر باردة،ولعل هذا يذكرنا بالحياة الجاهلية للعربي الذي كان يفرح بالذكور ويحزن لولادة الإناث قال تعالى :" **وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ**"[7] فهو على ما يبدو تقليد جاهلي متوارث ،والغريب أن الرغبة في إنجاب الذكور لا تأتي من الزوجين فقط إنما يشارك المجتمع الزوجين في هذه الرغبة ،فالمجتمع ينظر إلى إنجاب المرأة على أنها مشكلةٌ تحتاجُ إلى حل ،وهذا ما اتضح في الرواية حين كانت الجدة مسعودة تشجع ابنها على الزواج من أخرى ،وذلك انطلاقا من أن الولد هو من يحمل اسم العائلة ،وهو كالسند للوالدين عند الكبر فتخاطب الجدة مسعودة بهيجة الزوجة الجديدة التي تزوج منها والد ريام قائلة [8]

"يا أم الولد نامي رغد

بين الهنا وبين السعد

باجر يشب مثل الأسد

و يصيرلج عون وسند"

هذه الترقيصات والأغاني الشعبية تكرس للوعي الذكوري في المجتمع العراقي ،ولاشك أن هدية حسين قد تربت في العراق وهي تسمع هذه الترقيصات وغيرها من الترقيصات الشائعة جدا في البيئة العراقية.

ومن الأحداث المهمة في الرواية ما تذكره ريام عن والدها كيف ضربها وعاقبها ،وتوعدها أن تنام في السرداب .. بل انه كاد يحرمها من إكمال دراستها وذلك؛ لأنه اكتشف أنها كانت تتسلل لغرفته في الليل ،وتراقب ما كان يجري بينه وبين وزوجته بهيجة وبينه وبين وأمها أحياناً، وكانت تسرد لزميلاتها في المدرسة مشاهداتها، وفي احد الأيام استدعت المديرة والد ريام ،وطلبت منه نقلها إلى مدرسة أخرى، وكان نتيجة تصرف ريام أن قام والدها بضربها بتشجيع من مسعودة الجدة التي كانت ترى ان ريام أفسدها الدلال والحقيقة أن الجدة مسعودة حامية هيكل الذكورة كانت تقول ذلك فقط ؛لأن ريام أنثى هذا ما حاولت المؤلفة التركيز عليه حين عرضت في الجانب الآخر أنواع الدلال الذي أحاطت به مسعودة محمودا ابن بهيجة الزوجة الثانية،وهو واخو ريام غير الشقيق ...

وبعدها نجت ريام من عقاب والدها بفضل تدخل بهيجة الزوجة الثانية التي كان والد ريام لا يرفض لها طلبا ،ثم سمح لها أن تكمل دراستها تصف ريام والدها فتقول " تظل الصورة الأوضح منه في مخيلتي هي حين أسقطني على البلاط وداس رأسي بحذائه الجلد"[9]

فهنا تصور ريام زوجة الأب بهيجة وهي احن على ريام من والدها ،كذلك تركز هدية على ذكورية المجتمع التي تأتي ردة الفعل اتجاه تصرفات البنات أضعاف ما تكون اتجاه تصرفات الأولاد،فلو كانت ولدا ما كان عاقبها هذا

العقاب ،ونلاحظ هذا في الرواية من خلال المقارنة بالطريقة التي ربت فيها أسرة ريام محمود الأخ غير الشقيق لريام .

تسلط المؤلفة من خلال الأحداث على الازدواجية التي يعاني منها الرجل العراقي ،فبعد موت بهيجة الزوجة الثانية لوالد ريام اثر حادث سقوطها من الدرج حزن عليها ولد ريام حزنا عميقا ،ليلحق بها بعد فترة إذ لم يستطع تحمل غيابها عنه ،فتبرز الازدواجية في شخصية هذا الأب بين رجل محب إلى درجة انه مات كمداً على زوجته (أم الولد)،وبين أن يكون قاسي القلب لا يتورع من ضرب ابنته وتوجيه الكلام القاسي للزوجة الأولى .

تتولى الجدة مسعودة حامية هيكل الذكورة تربية محمود وتسرف في دلاله .. فعندما كان محمود صغيرا سرق بعض الأشياء من البقال و لاقى هذا الفعل فرحا غامرا من الجدة فقد ادعت بان هذا ذكاء من طفل صغير فمسعودة التي كانت تعطي دروسا في ضرورة تربية البنات على الأخلاق الحسنة، تقوم بفعل مناقض وهو تشجيع الصبي على السرقة ،وفي تصرفات الجدة هذه تتجلى ازدواجية النظر، والتفرقة بين الذكور والإناث ،وهي احد المشاكل التي يعاني منها المجتمع العراقي.

ثم تستعرض ريام قصص الحب في حياتها ، إذ أحبت في السنة الثالثة عشر من عمرها ،فتى يدعى ريحان و يعود أصله إلى الجبايش وأمه تبيع القيمر قرب بيت ريام ، وعندما علم خالها بأمر علاقتها بريحان كانت ردة فعلة عنيفة إذ تروي ريام الأحداث " تحرك خالي وامسك بضفيرتي وراح يقررني وان اقسم أن ريحان لم يلمسني ... سحب يده من ضفيرتي وكور قبضته كما لو انه يريد أن يلكمني فوضعت يدي على وجهي ... ثم تركنا وهو يركز على أسنانه ويقول : ما بقى إلا ابن المعيدي يتحرش ببنيتنا " [10]

ثم ضرب خالها حبيبها ريحان وكسر يده ،فاختفى بعد ذلك ريحان من حياة ريام ،وانتقل للعيش في الجبايش ولم يلتقِ بها سوى مرة بعد هذه الحادثة وقبل أن يختفي نهائياً من حياتها ....

فهذا الحدث يركز على فكرة اعتبار المرأة شرف العائلة وعلى الرجل حماية هذا الشرف ،فبعد أن توفى الأب انتقلت مهمة حراسة شرف العائلة إلى الخال على ما يبدو.

كانت ريام شديدة التعلق بالدراسة ،ولم تفكرْ في تركها على الرغم من أن أُمّها كانت تذكرها دائما بضرورة تعلم الخياطة فكانت تقول لها " فكري بالمستقبل الحياة الحقيقية بالفن و الإبداع " [11] ،هنا نلاحظ تركيز المؤلفة على الفكرة السائدة في المجتمعات المتخلفة وهي عدم إعطاء أهمية الشهادة فيبدو انه ريام عاشت في زمن لم تكن للشهادة فيه قيمة بسبب انخفاض مدخول الموظفين ،وبالرغم أن المؤلفة لم تعطي زمن محدد للرواية ولم تؤرخ أحداثها إلا انه من خلال مجمل الأحداث ممكن أن يكون زمن النظام السابق وفترة الحصار ..،إن فكرة عدم أهمية الشهادة لا تزال موجودة في بعض بيئات المجتمع العراقي فالكثير فضل تعلم حرفة تعينه على الحياة الصعبة بدل من الحصول على الشهادة والتعرض للبطالة لقلة فرص العمل .

سرعان ما تغير رأي ريام فقد تعلقت بمهنة أمها بعد أن تعرفت بنجم الذيب الحب الثاني في حياتها فقد التقت به عندما كانت ترافق والدتها لإيصال البضاعة إلى السيد مختار الذيب صاحب محل الألبسة الذي تتعامل معه والدتها ،ثم تتبع هذا اللقاء لقاءات أخرى فيتواعدان ويخرجان معاً لكن سرعان ما يختفي نجم الذيب

من حياة ريام ليتبين فيما بعد أن نجم قتل أمه بقضية شرف فقد هربت أمه عندما كان في الحادي عشر من عمره إلى السماوة ، وقد عانى نجم بعد وفاة والده وهروب أمه فانتقل للعيش مع عمه هذا العم الذي تزوج من شابة تصغره سناً فكان يخاف عليها من الفتنة فقرر التخلص من نجم ودفعه نحو العمل .... وهكذا عاش نجم حياته وشعر بأنه منبوذٌ ... ،فقرر الانتقام ،فقتل أمه وقتل عشيقها وبهذا اختفى من حياة ريام ،بظروف غريبة وكأن القدر قد تآمر على ريام مرة أخرى ليخطف حبيبها الثاني .

وبعدها تنتقل أم ريام وبناتها للعيش بعيداً عن محمود والجدة مسعودة خوفا منها على بناتها وحرصها على أن تدبر لهن زيجات جيدة في المستقبل ،فمحمود اشتهر بالسرقة والجدة مسعودة لا تكف عن إزعاج والدة ريام ،فقامت والدة ريام بتأجير بيتاً قريباً على بيت العم نعمان عم بناتها ، وكان هذا العم دائم السكر ، وهناك تعرفت أخت ريام هند على سامي ليخطبها ويتزوجها فيما بعد ، أما عن الأخت الثالثة صابرين فان حادثة جرت عليها أدت بها إلى الانتحار فقد حاول عمها نعمان الاعتداء عليها هذا العم الذي كانت ترى فيه الأب الذي حرمت منه حاول هتك عرضها تحت تأثير الحشيشة التي يتعاطاها انتحرت صابرين بعد أن قامت بتوصيل التيار الكهربائي إلى حوض الاستحمام المليء بالماء ونامت نومتها النهائية.

وبقى هذا الأمر سراً إذ لم تخبر أم ريام هذا الأمر للشرطة ، إنما أخبرتهم أن انتحارها اثر إخفاقها في الدراسة ،وفي هذه السنة التي انتحرت بها صابرين "شهدت بغداد أربع حالات انتحار ثلاث نساء ورجل فأضافت صابرين الرقم خمسة " [12]

إن هذه الإحصائيات التي أوردتها الساردة تدل على مدى التعنيف التي تقابل به المرأة مما أدى إلى تزايد نسب الانتحار في صفوفهن أكثر مما هو في صفوف الرجال،وهي تشير إلى معناة المرأة في المجتمع العراقي ،التي تجد في الانتحار وسيلة للخلاص من مشاكل الحياة الصعبة ،فكان حالات الانتحار في صفوف الرجال خمس حالات الانتحار في صفوف النساء.

وتتابع لأحداث في الرواية فتموت أم ريام... ثم تعيش ريام لوحدها في البيت وفي احد الأيام يتحرش بها زوج أختها سامي الذي يسجن فيما بعد بسبب اختلاسه مبلغاً من المصرف الذي يعمل به ، أما هند فتتعرض للإجهاض بعد أن تعلم أن زوجها قام باختلاس هذا المبلغ ... ثم تخبرها ريام إنه تحرش بها ... فتنتقل هند للعيش مع ريام ومع فاطمة البنت التي كانت تعمل معهم في مهنة الخياطة والتي تسمى الأرملة ، وفي الحقيقة هي ليست أرملة إنما فقدت زوجها في الحرب العراقية الإيرانية، وأصرت عائلتها أن تبقى على ذمته كجزء من التحكم والسلطوي.

ثم تتحدث ريام عن الرجل الثالث الذي دخل حياتها ،وكانت متعلقة به كصديق في حين أحبها هو،وحاول التقرب منها ، وكان هذا الشخص متزوجاً من امرأة مصابة بالصرع وهو صاحب مكتبة تزورها ريام و أحيانا يعطيها الكتب مجاناً كانت تجد فيه صديقاً تحدثه عن أمها وعن نجم لكن بعد وفاة أمها لم تلتقيه أبداً ...، وكانت ترى أن من يفكر في الزواج من زوجة ثانية يعتبر خائن فابتعدت عن حياته ...ثم حاولت الاتصال به في وقت لاحق من حياتها إلا إنها لم تجده في المكتبة، وتحولت المكتبة إلى محل لبيع بضائع غير

الكتب وبذلك اختفى فياض من حياتها بطريقة غريبة مشابهة للطريقة التي اختفى فيها نجم الذيب وريحان بظروف غامضة .

أما عن آخر شخص أحبته فهو الجار الذي كانت تراقب تصرفاته من شباك البيت وتحاول أن تجمع المعلومات ،عنه وكان ما يربطها به كلابه التي كانت تعتبر السور الفاصل بين البيتين ،وفي احد الأيام تُدق باب البيت فإذا بالجار هشام وجهاً لوجه مع ريام ،ويطلب منها أن تستضيف كلابه لمدة أسبوع فتوافق على ذلك إلا انه اختفى بعد ذلك وتأخر أكثر من أسبوع إلى أن عرفت ريام فيما بعد بأنه ينتمي إلى حزب سياسي معارض للحكومة،وذلك حين داهمت الشرطة بيته.

وبذلك لحق نجم بريحان وفياض بالمصير ذاته وهو الاختفاء بطريقة غامضة من حياة ريام ،ولعل اختفاء الرجال بهذه الطريقة من حياة ريام شيء يدعو للاستغراب ،فكأن الكاتبة تعمدت إنهاء القصص بهذه الطريقة ،مما أثر سلبا على الرواية .

وفي ختام الرواية يأتي الحدث الأخير فحين كانت ريام تسكن مع هند أحست أن هند تزداد تسلطا يوما بعد يوم، وكانت توبخها على انشغالها بالكتابة في حين كانت هند تزور زوجها النصاب في السجن[13] ،ثم استمرت هند بتصرفاتها وتسلطها ،وتصل الرواية إلى خاتمتها قالت ريام: " وفي اليوم التالي وبعد ليلة طويلة من الأرق قلت في نهايتها كفى .. ووضعت القليل من الملابس في الحقيبة ووضعت أوراقي التي كتبت فيها قصة حياتي وتركت رسالة إلى هند على مائدة الطعام " لم اعد احتمل الحياة في هذا البيت وان بقيت سيكون مصيري مثل مصير صابرين " [14]

" ووضعت الحقيبة في صندوق السيارة وخرجت ..." [15]

فالرواية تركز على مسألة وقضية اجتماعية هي أن تكون المرأة هي المعنفة للمرأة فتنتقل قيم الذكورة الى الإناث ابتداءً من مسعود الجدة انتهاءً بهند التي تحاول التحكم بريام وممارسة سلطتها عليها ،خاتمة المطاف جاءت رفضا لهذه السلطة ،وإعلانا لحرية المرأة وإنها قادة على اتخاذ قرار العيش بعيدا عن تحكم الرجل أو تحكم المرأة المناصرة لذكورية المجتمع ،فالمرأة كائن له حق الاختيار،هكذا اختارت هدية حسين نهاية لقصتها ،بهروب البطلة إلى المجهول، إن الحدث النهائي يجعلنا نتساءل إلى أين ذهبت ريام ،وإذا كانت المرأة لا تنجو من التحرش الجنسي داخل العائلة كما صورته هدية في روايها فهي ستجد أمانا خارجها؟!

فكرة الحرية أو فكرة تقرير المصير هي الفكرة التي سيطرة على الرواية و جعلت الكاتبة تقود بطلتها إلى تلك النهاية ، هذه الفكرة لم تعرضها الكاتبة إلا في شخصية ريام ،فبالرغم مما لاقته والدة ريام من أذى زوجها ووالدته لم تفكر بالانفصال والابتعاد وفضلت تحمل الواقع المرير ،فقد اختارت هدية بطلة الرواية لإيصال هذه الفكرة والحقيقة أن هدية حسين هي من دعاة التغيير فهي القائلة "في الحياة ليس ثمة فئة عمرية محددة هي التي يقع عليها فعل التغيير ،لماذا نفترض أن الشباب وحدهم قادرون على ذلك ؟ألا يحتاج الأمر إلى حكمة الشيوخ ؟أما في الفعل الروائي فانا لست سياسية لأصدر البيانات واضع الخطط وأحمل اللافتات من اجل التغيير ،أنا كاتبة أبحث عن القيم الجمالية التي تتوارى خلف القبح ،أثير الأسئلة ولست معنية بالإجابات"[16].

هذا من ناحية الأحداث غير أننا أحيانا في القصة نجد بعض الاستطرادات التي تضر الرواية أكثر مما تنفعها ،ولا تؤثر في سير أحداث القصة إنما هي قصص مقحمة في القصة الأصلية ،لو استغنت المؤلفة عنها لما تأثر المبني الروائي ،ومنها قصص كانت ترويها والدة ريام لبناتها أثناء الخياطة وتبدو القصص وكأنها حشرت حشرا في الرواية ومنها قصة (فضة)المرأة الجميلة التي استأجر لها سائقا لينقلها إلى بيت أهلها لزيارتهم ،وفي الطريق يعرض عليها السائق أن تبيعه جسدها ،هذه القصة وغيرها أخذت مساحة من الرواية دون فائدة سوى أنها زادت من رسم صورة بشعة للرجل داخل الرواية .

ثالثا :الأفكار من خلال الشخصيات:

1. مطالبة المرأة بإنجاب الذكر ، وإدانتها لإنجاب البنت وهجرها والزواج عليها . (شخصية ام ريام)

وقد تجسدت هذه الفكرة في قصة(ام ريام) التي تقول في حوار متخيل " كاد اسمي يندثر ويحل محله اسم أم البنات .. (تعالي يا أم البنات) (روحي يا أم البنات) (ماذا تطبخين يا أم البنات) كنت اغتاظ إلا إنني اكتم غيظي بمزيد من العمل لكي لا تشمت بي جدتك النكديَّة وافتعل الابتسامة قدر ما أستطيع "[17] فالساردة تطرح هذه المشكلة التي تعاني منها كثير من النساء في المجتمعات الذكوريَّة التي تميل إلى إنجاب الذكور والتي يلقى اللوم في حال إنجاب الإناث على عاتق المرأة فتروي على لسان ريام " كم كانت تكرر بان تحديد جنس الجنين لا علاقة له بالمرأة وإنما بالرجل وتروح تشرح لأبي وجدتي معلومات لم أكن أعيها في ذلك الوقت فكانت جدتي مسعودة تسخر منها وأبي يتجاهلها "[18]

إنَّ تفضيل الذكر على الأنثى يلقي أثره على المرأة فـ "وما تزال الثقافة العربية تسهم في تكوين نفسي معقد لدى الأنثى ، وترسخ له للاوعي من لحظة الميلاد حيث الانقباض والحزن واللذين تواجه بهما الفتاة حينما تولد وحتى الموت وهذا التكوين النفسي المعقد هو ابن الثقافة الذي كرست له في اللاوعي الجمعي عبر القرون " [19]

تقول ريام :" لقد حظيت صابرين برعاية أبي عند ولادتها متأملا أن يأتي المولود الثاني لامي ذكراً ، وحظيتْ هندُ برعاية اقل ، أما أنا البنت الثالثة فلم احظ بأية رعاية منه ، كف أبي عن رعاية البنات من أول يوم جئت فيه إلى الدنيا " [20]

ثم تعرض الرواية كيف تزوج والد ريام على أمها بحجة أنها لم تنجب له الصبي " خلفتك كلها بنات وأنا أريد ولداً " [21] وكان لشخصية أم ريام دور كبير على مسار الرواية بشخصيتها المحبة .

2. حق المرأة في العمل والدراسة

تعرض الرواية لقضية دراسة المرأة وعملها وتتمثل بالشخصيات الآتية :(والدة ريام ،وهند ،وصابرين ،وريام)

إن استقلال المرأة المادي عن الرجل هو بداية تحررها يقول سلامة موسى " إن تحرر المرأة يعتمد بالدرجة الأولى على أن تكون منتجة ، بالمعنى المتعارف عليه أن يكون لها دخل ، لان هذا يمكنها من الاستقلال في اتخاذ الموقف بحرية ومسؤولية ، دون أن تكون واقعة تحت تهديد حرمانها من لقمة الخبز "[22]

تعرض الرواية لقضية عدم إعطاء البنات الحق في العمل والدراسة من خلال عدد من الشخصيات منها والدة ريام التي تخرجت من المعهد الفنون البيتيَّة منعها والدها من مزاولة العمل قالت " حينما قررت أن تخيط لنساء الجيران والمحلة منعها أبوها بحزم ، لا نريد بلاوي النساء تدخل إلى بيتنا " [23]،فهي لم تستقل مادياً ولم تتخذ الخياطة مهنة إلا بعد زواجها حينما مرت بظروف مادية صعبة برغم قلة الزبونات في تلك الفترة حيث كانت البلاد بحالة ركود اقتصادياً ترك أثره على الحياة الأسرية[24]

أما عن بناتها فصابرين اتجهت للعمل بسبب إخفاقها بالدراسة ، .. أما هند فقد كانت ترى في الخياطة أقصى طموحاتها ، و ريام الصغيرة كانت تفضل الدراسة في صغرها أوشك والدها على إنهاء مشوارها الدراسي، وقرر أن لا تكمل دراستها لولا تدخل زوجة الأب ... ،وتصل ريام إلى الكلية وتدرس التاريخ إلا أنها تقرر أن لا تكمل وتترك الدراسة بعد أن أحبت نجم، ووجدت في الخياطة طريقها للتقرب إليه ، كما أنها وجدت دراسة التاريخ دراسة أكاذيب وان الحقائق مشوهة وهذا ما بينته الروائية من خلال هذه الشخصية .

3. السلطة الأبوية وأثرها في حياة المرأة : (شخصية فاطمة وسلطة والدها)

تعرض المؤلفة لهذا الموضوع من خلال سرد قصة حياة فاطمة هي فتاة تعمل مع ريام وانتقلت فيما بعد للعيش معها وكانت تلقب بالأرملة.. وذلك بسبب فُقد زوجها ، إذا لم يعثر عليه أحد بعد شهر من زواجها وفي أثناء الحرب الإيرانية العراقية ومع أن الشرع يسمح لها بالزواج إلا أن عائلتها رفضت ، وخصوصا والدها ... مستحضرين قصة تلك المرأة التي تزوجت بعد خمس سنوات من فقد زوجها ، ليعود هذا الزوج فيما بعد وكانت وقتها قد رزقت بولدين من زوجها الثاني ، هكذا لم تتزوج فاطمة ،وبقيت تنتظر عودة زوجها بناءً على قرار والدها إلى أن مر بها العمر ، وبعد وفاة والدها أصرت أمها أن تبقى على وصية الوالد بعدم تزويج فاطمة ، تروي كيف أنها أحبت شخصاً لمدة سبع سنوات ،وأصرت على الزواج منه بالرغم من رفض العائلة، وقررت أن تتزوجه و تضعهم أمام الأمر الواقع لولا أن حبيبها هذا تخلى عنها بعد أن رفضت عائلته أن يرتبط بها، وهذا يعكس نظرة المجتمع للمرأة الأرملة والمطلقة ومدى الاضطهاد الذي تعيشه المرأة العراقية التي فجعتها الحروب بمن تحب ،تصور هدية حسين حالة فاطمة وهي حالة نساء كثيرات في العراق حين يختطف الموت زوجها وهي شابة ،أو أنها تفشل في زواجها الأول لأي سبب من الأسباب فينظر المجتمع لها نظرة قصور ومراقبة لتصرفاتها ، وقلما يعطيها مساحة للزواج مرة أخرى ،في حين لا يوجه الرجل مثل هذه الصعوبة إذا ما فشل في زواجه الأول أو إذا اختطف الموت زوجه أو غير ذلك ،بل وينال التشجيع على الإقدام على مثل هذه الخطوة.

وجدت فاطمة أن العمل هو السلوى الوحيدة لها بعد أن اتخذ أبوها هذا القرار الخاص بها جاء على لسانها:"وهكذا يا ريام ترين أن الرجال يحكموننا في حياتهم وبعد موتهم أيضا أبي وأمي جعلاني اشعر أن حياتي مقفرة آكل وأنام وأنام وآكل ولا أرى في نفسي إلا ما أراه في أي بهيمة تدب على الأرض ولولا إنني اتجهت إلى العمل لكانت عظامي الآن مدفونة في احد القبور " [25]

إن هدية حسين بواسطة هذه الشخصية حاولت أن تفصح عن إن الوالدين وهما الأقرب إلى البنت قد يؤثرون أقوال الناس على سعادة ابنتهم وتنبيه على فكرة مهمة وهي أن على المرأة أن تكون قوية بما فيه الكفاية على اتخاذ قرارتها بنفسها .

4 .مسألة الشرف (القتل غسلا للعار) تجسد في شخصية (زاهدة)،وشخصية والدة نجم الذيب ،وقد طرحت الرواية هذه القضية عن طريق شخصيتين الأولى (زاهدة) التي لم تأخذ من اسمها نصيباً على ما يبدو ،والتي كانت متزوجة من رجل عسكري ،وكانت تستغل غيابه عن البيت لتقيم علاقات مع رجال آخرين كان والد ريام أحدهم ، وفي احد الأيام عاد زوجها للبيت بإجازة ليجدها مع رجل آخر في السرير فقتلهما معا[26] ، وهذه القصة الثانوية التي لم تغير في سير الأحداث سوى أنهما جعلت من والد ريام يتخذ قرار نهائي بالزواج بعد أن خاف لو كان هو من قُتل لكانت نهايته كنهاية عشيق زاهدة الذي كانت تربطه بها علاقة هو الآخر ،وهذه القصة أخذت مساحة من النص الروائي كان الأفضل لو أن هدية عرضتها بشكل مختصر ،فلا داعي لها من ناحية السرد.

القصة الأخرى التي تتعلق بقضايا الشرف قصة والدة نجم الذيب التي هربت مع عشيقها عندما كان نجم في الحادي عشر من عمره... مما أدى إلى موت والده الذي لم يتحمل الخبر، أما نجم فقد كانت فكرة الانتقام هي ما دفعته لقتل والدته وعشيقها فيما بعد.

الملفت أن هدية حسين حين تطرح فكرةً تتعمد أن تجعلها مشكلةً تعاني منها أكثر من شخصية ،مما يوحي للقارئ أن هدية رتبت عدد من الأفكار برأسها ودخلت بأفكار مسبقة حاولت أن تجعل روايتها تدور حول مجموعة من الأفكار ،وكأنها تقحم الشخصيات المعنية بهذه القصص عنوةً إلى المتن الروائي؛ لأجل طرح الأفكار مما اثر سلبا على السرد و منطقيته .

5.مسألة بيع الجسد : تجسدت في شخصية عزيزة

تطرح هدية هذه المسألة في روايتها عند ما تروي قصة احد شخصيات الرواية وهي(عزيزة) الفتاة الشقراء ذات العيون الخضراء التي تعيش في الحي الذي كانت تعيش فيه ريام في صغرها، وكانت ريام تغار على حبيبها ريحان منها؛ لأنها تتمايل وتتضاحك وهي تكلمه، تزوج والدها من امرأة داكنة البشرة وكانت زوجة الأب هذه تشعر بالغيرة من هذه الفتاة الصغيرة ؛لأنها تخاف أن تكون سبباً في تعثر نصيب بناتها ، لذلك كانت زوجة الأب قاسية مع عزيزة ، وكان والدها ضعيف الشخصية لا يقف بوجه زوجته التي تعنف ابنته، وعزيزة لم تكن موفقة في دراستها لكنها كانت متأكدة من أنها ستصبح غنية يوما ما ،و ستنتقم من زوجة أبيها ، لكن الرواية لا توضح لنا كيف انتقمت من زوجة أبيها إنما توضح لنا النهاية التي وصلت إليها هذه الفتاة ، فبعدان عادت ريام للسكن في الحي القديم الذي كانت تعيش فيه رأت ذات يوم فتاة جملية شقراء تطلق الضحكات الداعرة امرأة مثيرة تلهث على صدرها الأبيض سلاسل ذهبية وتملأ أصابعها خواتم يبرق منها الياقوت والزمرد فقد تغيرت كثيراً تقول ريام " لا احتاج إلى كثير من التفكير لأعرف حقيقة ما صارت إليه ثيابها عطرها نظراتها ضحكاتها كل ذلك اخبرني بما أنها قطعت صلتها بالماضي ...وبدت سعيدة بحياتها" [27]

إن هذه القصة تبدو ملصوقة عنوةً بالرواية فبالرغم من أنها تطرح قضية مهمة إلا أنها تبدو مقحمة على سير الأحداث ولا تمت للرواية بصلة فكأن الروائية جاهدت أن تحشر في روايتها اكبر كم من الأفكار و الشخصيات النسائية، واكبر قدر من القضايا النسويَّة أدت إلى ركاكة في السرد أحيانا ولابد من التأكيد على مسألة مهمة يجب أن لا تبتعد عن بال هدية حسين، و هي " إن الانشغال بخطاب ثقافي ما أو أيدلوجيا معينة

يجب أن لا يأتي على حساب فنيات وجماليات السرد لأننا بالضرورة نقدم فناً لا نقدم أفكاراً فالأفكار الخالصة مكانها الكتب الفكرية "[28]

6.تعنيف المرأة : تعنيف شخصيتين من شخصيات الرواية وهما (والدة ريام ،وريام)

ويمكن أن يقسم العنف ضد المرأة في الرواية إلى نوعين لفظي وجسدي إن العنف لفظي ممكن تتبع ملامحه في أكثر من شخصية في الرواية وحاولت المؤلفة تسليط الضوء على هذا العنف الذي تتعرض له المرأة أو الأنثى الصغيرة والكبيرة فقد ابتدأت بقصة ريام التي ابتدأ العنف اللفظي لها من يوم ولادتها حين أصر والدها وجدتها على مناداتها كفى، ولم تتخلص من هذا الاسم إلا بعد أن قررت أن تغيره نهائياً بإجراء معاملة رسمية لتغير هذا الاسم بعد وفاة والدها وجدتها ..فضلا عما كانت تعانيه والدة ريام التي أطلقت أم زوجها عليها اسم (أم البنات)،وهذا جزء من العنف اللفظي الذي يمارس ضد المرأة أما العنف الجسدي فمثاله تعنيف ريام من قبل والدها عندما كانت صغيرة ومن قبل خالها عندما أصبحت صبية .

8.التحرش الجنسي : تمثل هذه القضية شخصيتين هما صابرين وريام

إن الجسد في هذه الرواية يحتل حيزاً كبيراً فقد حاولت الروائية تسليط الضوء على ازدواجية نظرة الرجل لهذا الجسد بين اعتباره رمزاً للشرف وعلى المرأة الحفاظ عليه كما في قصة أم نجم ، وقصة زاهدة ، وبين اختزال المرأة بجسدها واعتبارها شيء يشتهى كما في قصة صابرين و ريام ....

تحاول الرواية كشف المسكوت عنه ،وتسلط الضوء على التحرش داخل العائلة فتعرض قصة صابرين وعمها نعمان الذي كانت تعتني به ،و تعتبره والدها الذي حرمت منه، وكان نعمان يتعاطى الحشيشة ويشرب الخمر ،وقد حاول في أحد الأيام الاعتداء عليها واغتصابها لولا أنها قاومته حاولت ريام أن تلتمس لعمها الأعذار ، انه من المستحيل ان يقدم على مثل هذا الأمر لولا انه تحت تأثير الحشيشة،إلا إن الروائية تعود لتعرض لهذه القضية– التحرش داخل العائلة – حين تتعرض ريام للتحرش من قبل زوج أختها هند إذ إن في الرواية كشف للمسكوت عنه فمثل هذه القضايا مسكوت عنها،وتذهب طي الكتمان ،وفي حوار بين ريام و أمها تقول ريام لأمها " أتساءل أحياناً لماذا تعمل امرأة مثلك بهذه المهمة المجهدة ولا تفكر بالزواج من رجل مقتدر يصرف عليها وعلى بناتها؟ رمقتني بنظرة جعلتني اشعر بالندم على طرح هكذا سؤال وقالت : "عندما كنت متزوجة من ياسين لم يصرف علي وعليكن إلا النزر القليل ثم كف عنه ، فكيف آمل أن يفعلها رجل غريب وكيف آمن عليك وعلى هند منه إذ كان العم تحرش بابنة أخيه فماذا سيفعل الرجل الغريب ببنات زوجته "[29]

فهنا نلاحظ جراءة هدية حسين في طرح الأفكار إلا أن هدية تقع في الفخ ذاته ؛لأنها تفشل في إضفاء مسحة واقعية لروايتها،فتعرض أكثر من شخصية داخل العائلة لنفس المشكلة شيء به نوع من المبالغة ،وكأن المؤلفة دخلت بأفكار مسبقة حاولت قولبة الشخصيات والأحداث في إطارها ،فإذا أرادت هدية أن تكون واقعية فان عليها أن تصور المجتمع بدقة فالمجتمع العراقي برغم من وجود حالات انحلال أخلاقي في بعض الأسر و

العوائل ومثل هذه الحالات لا يمكن إنكارها ؛لكن تصوير هديه حسين للتحرش داخل الأسرة كظاهرة ،تعطي صورة مشوهة ومبالغة عن هذا المجتمع .

رابعا :نقد الأفكار الأدبية في الرواية

نقد الفكرة الأدبية ينطبق على مجموع المحتوى (الصريح أو الضمني)للتأمل النظري أو الأيديولوجي للأدب وحول الأدب كيفما كان نوعه ،إن نقد الأفكار الأدبية ليس أمرا هينا فيجب أن يكون الناقد مندمجا بكل أبعاد الفكرة الأدبية يفحصها ،ويضطلع بها بنفس القابلية وبنفس الحرية والوضوح الهرمنوطيقي ،عليه أن يكون ناقدا في ذات الوقت ظاهرتيا ومؤولا ومنظرا ومؤرخا للأفكار الأدبية ..على ناقد الأفكار الأدبية أن يكون ناقدا شموليا يتصرف بواسطة هرمنوطيقيا كلية وصاحب ذوق وأيديولوجيا مولعا بالجمال ومؤرخا ماهرا في القراءات الكلاسيكية والحديثة دون تحذلق وسطحية [30].

ان هدية حسين بالغت في طرح الأفكار التي تصوير تعاسة المرأة العراقية ،وصورت الرجل بصورة بشعة ،فمن خلال الرواية لا نجد شخصية رجالية سوية في الرواية سوى مختار الذيب ،وكل الشخصيات الأخرى شخصيات سلبية تؤثر سلبا على حياة المرأة.

لو إن هدية حسين قللت من هذا الحشد للأفكار ،لبدت روايتها أكثر منطقية ،فهي في روايتها هذه كأنها تقول إني سأطرح اغلب القضايا التي تتعلق بالمرأة ،ولو أن المؤلفة كانت قد اختزلت بعض القضايا واقتصار المشاكل على شخصية واحدة واعدم تكرر المشكلة ذاتها مع شخصية أخرى لكانت انجح ،ولبدت الرواية أكثر واقعية .

إن الرواية انسحبت فنيتها إلى الموضوعية من خلال طرح الآراء الأنثوية المتزاحمة مما اثر بشكل ملحوظ على الفنية وحبست القارئ في إيديولوجية الأنوثة التي قاربت فيها كثير من الكاتبات ، لاشك في أن نشر القضايا التي تخص المرأة ،وان كانت في إطار فني يؤثر في فنية الرواية - أي رواية - وذلك لأنها في اغلبها قضايا مكرورة كقضايا بيع الجسد أو دراسة المرأة وعملها ،وتفضيل إنجاب الذكر على إنجاب الأنثى وغير ذلك ..إن المباشرة في طرح الأفكار يحول الرواية إلى رواية رتيبة ومملة وهذا ما لمحناه في رواية هدية حسن في أكثر من موضع ،لكن حين تطرح هذه القضايا بإطار آخر تكون أكثر جذبا وإمتاعا مثلا رواية قواعد العشق الأربعون التي طرحت قضية المرأة وحرية الاختيار، ولكن ليس بصورة مباشرة ونمطية ،فجعلت القارئ جزءا من الاكتشاف والتفاعل ، فالمباشرة تدخل الرواية في إطار الرتابة .

ولابد بعد عرض الشخصيات والأفكار التي طرحت بواسطة الأحداث لابد من الإشارة إلى أن هناك تشابه بين بطلت الرواية وهدية حسين وقد أشار إلى ذلك أ.د. صبري مسلم حمادي في مقالة له حين وجد في الرواية إشارات لكثير من مظاهر الحياة العراقية قال :" ربما يكون محفز الروائية هدية حسين لهذه العودة لتلك الأجواء

الحميمة ، هو أنها تفتقدها وهي تعيش في مغتربها بكندا، وتجد في أوراق مذكراتها ما يعينها على استعادة تلك الأمكنة والشخصيات والحوارات التي اختارت لها العربية الفصيحة المبسطة ، تتخللها بعض المفردات والعبارات المستقاة من اللهجة الدارجة. وقد نجحت في أن تشكل من بطلتها نموذجا بشريا يستحق الاهتمام ويبدو لصيقا بشخصية الساردة المؤلفة وإن لم يكن مطابقا ، إذ لا تدخل هذه الرواية في عداد رواية السيرة الذاتية. ولعل من البديهي أن تنقل المؤلفة مشاهداً وأحداثا وشخصيات من حياتها الخاصة ، وتصوغها صياغة فنية، لا بد أن يدخل الخيال السردي طرفا فيها ، إذ حفرت بطلة رواية ريام وكفى في صخرة ذلك المجتمع الذي وجدت نفسها فيه وأثبتت أنها جديرة بالحياة متخطية تلك العقد والعقبات باتجاه حياة حرة كريمة – لا سيَّما أن المؤلفة تركت نهاية الرواية مفتوحة على المستقبل ، بحيث تشكل مخيلة القارىء تلك النهاية – دون أن تستغل إنسانيتها أو تمس كرامتها وكما ينبغي للإنسان الحر أن يفعل. وهذا مما ينطبق على بطلة الرواية وعلى مؤلفتها هدية حسين على حد سواء."[31]

فكأننا نجد هديه حسين في بطلتها في أكثر من موضع فالتشابه بين الاثنين يمكن تلمسه في أن كلاهما يمارس الكتابة ،وكذلك المعاناة الاغتراب اغتراب البطلة وهي داخل الوطن ،واغتراب هدية وهي خارج حدود الوطن ،كما أننا نجده في حب الحرية وعدم الاستسلام للحياة وهذا ما نجده في البطلة حين اتخذت قرار التغير وفي هديه حسين التي لم تثنيها صعوبة الحياة عن إكمال المشوار بعزيمة وإصرار ، فضلا عن ذلك فان تزامن كتابة هذه الرواية مع وفاة الأديب الراحل عبد الستار ناصر وهو زوج هدية حسين مما نجد صداه في الرواية إذا نجد كل من أحبته ريام يختفي بظروف ،فاختفاء الرجل من حياة المرأة المحبة وفكرة الموت وتحسر المرأة على الحبيب الذي فارقها كانت فكرة سيطرت على الرواية ،والعجيب أن الفراق كان قاسما مشتركا عند جميع الشخصيات الأنثوية في الرواية ابتداءً من أم ريام انتهاءً بريام وفراقها لجميع الرجال الذين أحبتهم و موت الشخص الذي وجدت به تعويضا عن الأب وهو مختار الذيب الذي عشق والدتها ،واعتبر ريام ابنته،وكذلك نجد هذه الأحداث طالت هنداً أخت ريام إذ فقدت زوجها بتعرضه للسجن ،وكذلك فقد زوج فاطمة صديقة ريام أثناء الحرب ،موت العم نعمان وان كان شخصية سلبية في حياة هذه الأسرة ،أن فكرة الموت أو موت الرجل أو اختفاؤه بطريقة غامضة كانت فكرة سيطرة على مجريات الأحداث ،فبالرغم أن هدية حسين تقول :"لا اختار مصائر أبطالي ،عندما اكتب اترك لهم حرية النمو والتجوال "[32]إلا أننا نجد هدية واعية أو غير واعية قادت اغلب الشخصيات الذكوريَّة إلى نهايات متشابهة ،ان الموت سيطر على الرواية ولم تكن الشخصيات الذكورية وحدها من كان مصيرها الموت فالموت في هذه الرواية ظاهرة ،فموت أم ريام ،وموت أختها صابرين ،وهدية كانت بارعة في تصوير مشاهد الموت فتجعل دموع من يقرأ تسقط حزنا ،كانت براعة هدية في تصوير الموت؛ لأنها عانت من فقد زوجها حديثا فكان تصويرها مثيرا للعواطف ، وبذلك يمكن القول إن الاغتراب المكاني والاغتراب عن الزوج الذي تعاني منه هدية وجد صداه في الرواية .

بقي أن نشير إلى أن كون هدية حسين كاتبة مقال وكاتبة قصة قصيرة قد اثر كثيرا على روايتها فنلمح في مواضع كثيرة ،أكثر من قصة قصيرة ممكن حذفها من دون أن تأثر على مجريات السرد مثل قصة عزيزة التي امتهنت بيع الجسد وقصة فضة التي عرض عليها احدهم أن تبيعه جسدها. إن هذه القصص المقحمة أثرت سلبا على الرواية ،لعل عمل هدية حسين وكونها قاصة وصحفية اثر عليها فعملها هذا يكون الوصف فيه ظاهريا ولا تتعمق الكاتبة بوصف أعماق الشخصيات الذي يتطلب دراسة لمكون الشخصيات الروائية والتفاعل معها ،فجاء تصويرها وصفا سطحيا ومكثفا اقرب للقصة كذلك العلاقة بين ريام وأختها هند لم تكن مبررة ولا منطقية ولا مفهومة فالشخصيات سطحية لو ركزت هدية على الملامح العميقة للشخصيات وتجلت الأعماق النفسية لكانت أفعال الشخصيات والأحداث أكثر قبولا ،الرواية بسبب عدم التعمق في رسم الشخصيات المؤثرة.

لا شك أن العمل الروائي عمل مضني تقول هدية حسين في لقاء لها في إذاعة صوت العراق الحر "ان بعض الروايات كان ممكن أن تكتب في ستة اشهر كتبتها في سنتين ؛لان هناك عدم استقرار مكاني ...."[33]

فهدية حسين ترى أن العمل الروائي ممكن أن يكتب بأشهر والحقيقة أن العمل الروائي عمل معقد ويحتاج تفرغ ،واستقصاء ،وتروي قبل كل شيء ، هدية حسين صاحب نتاج يتسم بالوفرة ،ولعل هدية لو تروت أكثر لكانت هذه أكثر عمقا.

بقي أن نقول لعل ترشيح هذه الرواية للبوكر لم يستند على ما في هذه الرواية من أفكار جديدة وفلسفة فريدة فاغلب الأفكار فيها مطروقة ،ولا كان سبب الترشيح الدقة في السرد أو رسم الشخصيات وهذه الأمور ابتعدت عنها الرواية ،ولكن السبب قد يعود إلى عمق العاطفة التي نقلتها هدية في تصويرها للموت الذي كان السمة البارزة للرواية ،وهذا من الأمور التي تحسب لهدية ،كذلك لا يمكن إغفال دور مؤسسات النشر في الرفع من قيمة هذه الرواية لترشح للبوكر .

النتائج :

1. تعتبر هدية حسين امرأة مناضلة ؛لأنها تحدت الظروف واستطاعت أن تصنع من اسم هدية اسم كبير ،على الرغم من أنها نشأت في أسرة متواضعة وكان للظروف التي مرت بها في حياتها اثر كبير في تجاربها الأدبية فكانت تستسقي من الواقع وقد تتميز هدية حسين بوفرة نتاجها الأدبي ،عاشت هدية في العراق ثم انتقلت إلى الأردن ثم إلى كندا وترى ضرورة العودة إلى العراق ،لتستقي منه موضوعاتها الواقعية .
2. فكرة الرواية الأساسية التي تطرحها الرواية هي فكرة التحرر بالمعنى الايجابي تحرر المرأة من أي شيء يمكن أن يجعلها سجينة المجتمع والعادات والأعراف والعائلة والأسرة أن تعيش الحياة كما تراها هي وفق قناعاتها طرحت الرواية قضايا أخرى وأفكار حاولت أن تجيب عنها وهو اغلبها تتعلق بالنساء ومحاولة النهوض بالمرأة العراقية خلال تسليط الضوء على واقعها .
3. تعد عتبة العنوان من الأمور التي وفقت فيها الأديبة في جعل القارئ مشدودا ،حتى يمكن القول أن اسمها من أجمل ما فيها.
4. عرضت مشاكل المرأة ومنها:

أ)مطالبة المرأة بإنجاب الصبي ب)حق المرأة في العمل والدراسة ج)السلطة الأبوية وأثرها في حياة المرأة د)مسالة الشرف (فكرة القتل غسلا للعار هـ)مسالة بيع الجسد و)تعنيف المرأة ز)التحرش الجنسي من قبل الأقارب في العائلة وهي تعتبر من ابرز القضايا التي ناقشتها والتي تتسم بالجرأة

5. إن الروائية هدية في روايتها اجتهدت في حشد الأفكار وكأنها لم يبق قضية تعاني منها المرأة إلا وطرحتها مما اثر في بعض الأحيان على السرد في الرواية وخصوصا حين عرضت قضية عزيزة الفتاة التي احترفت بيع الجسد و كأنها قصة قصيرة مقحمة في الرواية ،وكذلك قصة فضة وهي قصص قصيرة مقحمة بالرواية ،وهذا مايؤكد أن كون هدية حسين من كاتبات القصة القصيرة ،اثر على روايتها.

9.بالرغم من أن هم هذه الدراسة لم يكن دراسة الألفاظ إلا انه يمكن القول إن لغة الرواية سلسة ،وأسلوبها يشد القارئ بالرغم مما في الرواية من متناقضات ،والسذاجة أحيانا كالطريقة التي اختفى بها كل من تحب .

10. رواية عرضت لمشكلة تعنيف المرأة من قبل المرأة ذاتها في هذا المجتمع الذكوري ،فهي تريد أن تقول أن المرأة هي مشاركة في إشاعة الوعي الذكوري في المجتمع عن طريق عرضها لشخصية مسعودة الجدة وهند الأخت .

11 .عمدت الراوية على أن تطبع روايتها بالطابع المحلي عن طريق ذكرها لأجواء مستمدة من الفلكلور في أكثر من مشهد من مشاهد الرواية من ذلك ذكرها للترقيصات التي تتوارثها الأجيال في المجتمع العراقي والتي تشير إلى رؤية متدنية للمولودة الأنثى والفرح العارم بالمولد الذكر .

12.طرحت الكاتبة عدداً من الموضوعات و الأفكار الخاصة بالمرأة وممكن أن نعتبر هذه الرواية أدب نسوي بامتياز فجُل الأفكار تتعلق بالمرأة ،فضلا عن أن شخصياتها الرئيسية كلها نساء مما ادخلها في إطار الأدب النسوي.

13.انتقدت هدية حسين المجتمع وحاولت تسليط الضوء على مجتمع يسمح للرجل بكل شيء حتى وإن كان محرما ،ويحرم المرأة من كل حقوقها حتى وإن كان حقا مشروعا مثلما نجد ذلك في شخصية الأرملة فاطمة التي حمت من مواصلة حيتها واختيار الارتباط بشخص آخر بعد أن فقدت زوجها .

14 .إن الرواية سلطت الضوء على خضوع المرأة العراقية لسلطة المجتمع الذكوري ،وكيف أنها لا تستطيع أن تجد لها كياناً بعيدا عن الرجل ،ابتداءً من والدة ريام التي عانت الأمرين من زوجها إلا أنها مصرة على البقاء معه حرصا على مستقبل بناتها ،ثم هند وإصرارها على البقاء مع زوجها ،ثم عرضت الرواية كيف يمكن أن تكون المرأة هي المعنفة للمرأة وهي الحريصة على إخضاع المرأة لسلطة المجتمع وهذا ما نجده في شخصية هند ،وشخصية الجدة مسعودة ،ثم تأتي الخاتمة كثورة على الذكورية في المجتمع ،وعلى سلطة المجتمع الظالمة للمرأة ،وذلك حين رفضت ريام الخضوع لسلطة هذا المجتمع ،وقررت أن تتحرر منها ،لتنطلق في فضاء الحرية ،الحرية في اتخاذ القرارات .

15.الذي يحسب للرواية تصويرها لمشاهد الموت وألم الفقد ،سواء فقد الأم ،أو فقد الأخت بالنسبة لريام ،أو فقدها لمختار الذيب الذي اعتبرته والدها ،فتصويرها لتلقي ريام خبر الموت كان بارعاً و صادراً من شخص عانى حرقة الموت وتجرع مرارته ،ولا يجد القارئ مفرا من أن يشعر بالتأثر إزاء هذه المشاهد التي تكثر في الرواية ،فهذه الرواية هي رواية الموت والفقد المفاجئ إذا صح التعبير فهو الثيمة المسيطرة على الرواية .

16.إن الرؤية في هذه الرواية رؤية تقليدية عامة ،لا يمكن نسبتها إلى هدية حسين وحدها ،فالقضايا التي طرحتها في اغلبها طرحت في روايات قبلها .

17.ربما كان لمؤسسات النشر دور في الرفع من قيمة هذه الرواية وترشحها للبوكر ،فالرواية اخفقت في جوانب عدة وقف عندها البحث.

18.هدية حسين استطاعت أن تجد لها مكانا بين كتاب الرواية في العراق ، فإخفاقات هدية حسين في جوانب عدة في الرواية لا يتعارض مع كونها من أهم الروائيين في العراق،فالرواية بالعراق لا نجد لها تلك القوة التي نجدها في القصة ،فالضعف ظاهرة عامة وليست فردية فيها فالرواية فن أصعب من فن القصة ،ويحتاج تفرغا ووعيا ،ودقة في تصوير خلجات النفوس .

الهوامش:

[1] ينظر :نظرية الأدب /رينيه ولك ،أوستن وارن /تعريب عادل سلامة /دار المريخ /الرياض/153/1992 - 154

[2]يعني مصطلح الجنوسة أو أكندر (gender) يسمى عند بعض الكتاب وهو " التشكل والتمايز الاجتماعي والثقافي للجنس" غرفة فرجينيا ولف / دراسة في كتابة النساء رضا الظاهر/ط1 /دار المدى للثقافة والنشر سوريا /2002 /24 .

[3] يعني مفهوم (كتابة النساء) ما تكتبه النساء من وجهة نظر النساء سواء أكانت هذه الكتابة عن النساء أو عن الرجال أو عن موضوع آخر " أما مفهوم الكتابة النسوية " فمعنى الكتابة من وجهة نظر نسوية سواء أكانت هذه الكتابة من إبداع امرأة أو من إبداع رجل " غرفة فرجينيا ولف /10

[4] /لماذا النص الموازي/ جميل محمداوي /http://www.arabicnadwah.com/articles/muwazi-hamadaoui.htm

[5] ريام وكفى / هدية حسين /ط1 / /المؤسسة العربية للدراسات والنشر /لبنان /2014 /13

[6] م.ن /23

[7] النحل /58

[8] ريام وكفى/25

[9] م.ن/27-28

[10] م.ن/41

[11] م.ن/74

[12] م.ن/102

[13] م.ن/207

[14] م.ن/210

[15] م.ن/211

[16] موقع كتاب العراق /www.iraqiwriters.com

[17] ريام وكفى/64

[18] م.ن/22

[19] نقد الخطاب المفارق /د.هويدا صالح /ط1 /رؤية للنشر والتوزيع /2014 /64

[20] ريام وكفى/25

[21] م.ن/67

[22] المرأة ليست لعبة الرجل /سلامة موسى الشركة العربية /القاهرة /1956

[23] ريام وكفى /67

[24] م.ن /68

[25] م.ن /156

[26] ينظر: م.ن/65-66

[27] م.ن/57

[28] نقد الخطاب المفارق/ 302

[29] ريام وكفى/ 112

[30] نقد الأفكار الأدبية /أدريان مارينو ، ترجمة محمد الرامي / ط1 المركز القومي للترجمة /القاهرة/2008 ،50،39

[31] رواية "ريام وكفى "وتقنيات روائية / أ.د. صبري مسلم حمادي/www.atheer.com

[32] موقع كتاب العراق /www.lrqqiwriters. com

[33] إذاعة صوت العراق الحر /إعداد حسين علي مدي /برنامج (عراقيون في المهجر)برنامج أسبوعي يتحدث عن حياة العراقيين خارج وطنهم

المصادر

- ريام وكفى /هدية حسين /ط1 / /المؤسسة العربية للدراسات والنشر /لبنان /2014
- غرفة فرجينيا ولف / دراسة في كتابة النساء رضا الظاهر /دار المدى للثقافة والنشر سوريا /ط1 /2002
- المرأة ليست لعبة الرجل /سلامة موسى الشركة العربية /القاهرة /1956
- نظرية الادب /رينيه ولك ،اوستن وارن /تعريب عادل سلامة /دار المريخ /الرياض/1992
- نقد الافكار الادبية /ادريان مارينو ، ترجمة محمد الرامي / ط1 / المركز القومي للترجمة /القاهرة/2008 .

- نقد الخطاب المفارق/د.هويدا صالح /ط1 /رؤية للنشر والتوزيع /2014

المواقع الالكترونية :

- اذاعة صوت العراق الحر /اعداد حسين علي مدي /برنامج (عراقيون في المهجر)برنامج اسبوعي يتحدث عن حياة العراقيين خارج وطنهم
- جميل محمداوي /لماذا النص الموازي /-http://www.arabicnadwah.com/articles/muwazi hamadaoui.htm
- حوار مع الكاتبة العراقية هدية حسين /الابداع لا يعيش تحت مظلة الخوف وانما في فضاء الحرية والواسع /حاورتها لينكس كوالي تحرير /على المخلافي /موقع قنظرة https ://ar.qantara.de
- رواية "ريام وكفى "وتقنيات روائية / أ.د. صبري مسلم حمادي/www.atheer.com
- موقع الكتاب العراقيين /www.lrqqiwriters. Com
- موقع كتاب/ http:www.ektab.com